

عَرْضُ كِتَابٍ: نَشْأَةُ التَّيَّارِ الْإِفْرِيْقَانِيِّ
الْجَذُورُ الْكَارِيبِيَّةُ وَالْأَمْرِيكِيَّةُ
وَالْإِفْرِيْقِيَّةُ فِي الْقُرْنِ الْتَّاسِعِ عَشَرَ

book show African Studies Series
The origins of the African current
Caribbean, American and African
roots In the nineteenth century

د. عَبَّاسٌ غُلَامٌ حَسَيْنُ

Prof. Dr.Nawar Jaleel Hashem

Sarhan_saef@yahoo.com



في القرن التاسع عشر

عرض: الدكتور عباس غلام حسين.

المؤلف: أورينو دالارا، ترجمة هيثم لمع

المطبعة: دار الجماهيرية / بنغازي / ليبيا.

الطبعة : الطبعة الأولى (2001)

عدد الصفحات: «431» صفحة

تقديم:

مؤلف الكتاب: هو أورينو دالارا: هذا المؤلف هو أولى صورته محاضرات ألقاها المؤلف دالارا في جامعة ياونده (الكاميرون) سنة 1978، في إطار حلقة ماسترز (الدراسات الأفريقية الأمريكية) حول الجذور الكاريبية والأمريكية للأفريقية. بعد عشرين سنة، مع نهاية القرن، إلى نصوصي لأؤلف ألف منها كتاباً أهديه إلى ابني زانغوموسي وإلى كل أصدقائي في الكامرون. وأخيراً اضطررت إلى مغادرة الكامرون على عجاله؛ بسبب مشكلات إدارية. فسافرتُ مع زوجتي وابنتي - خمسة عشر يوماً - دون أي تفسير، ومن دون أن أعلم أصدقائي الكاميرونيين، الدكتور إيكولو بوجه خاص، وهو طبيب نسائي، ومارسان توكوا، أستاذ الفلسفة، وزميلي في الجامعة الذي يعرف «بليدن» حق المعرفة. حملتُ

معي ذكرى هذا المبوبوك العتيق والضيافة الكريمة، قد كان يدعوني إلى منزله لينقل لي معلوماتٍ شفهيّاً. لمّا اختارني أنا، المؤرخ الغوادلوب، بدلاً من أولاده المائة والخمسين؟ وحدها كنداك تستطيع أن تخبركم... لكنّها ستفضّل الصمت.

وأنا أكتب هذه السطور، أجد نفسي أستعيد طفولتي التي أمضيتها في الغوا دلوب، والمتأثرة في عمقها بكلام صديقي القديم هنري جان - لوي باجيو، مؤلف التوراة الأفريقية، ومدافع شديد الحماس للأفريقية في السنوات ١٩٢٦ - ١٩٣١. ولا شك في أنني لا شعورياً أردتُ أن استظل به خلال عرضي، أولاً لطلابي، ثم لقراء الألفية الثالثة، لتاريخ هذه الحركة الأفريقية ودراساتها عند ولادتها، في القرن التاسع عشر.

إنّ الاحتفال بالذكرى المئوية للأفريقية (1900 - 2000) يجب أن ينفصل عن تاريخ هذه الحركة. تاريخ يجب فهمه في تعقيد وفي كل أبعاده الاقتصادية والسياسية. هذا التاريخ، يتعين الآن بحثه والتعمق فيه، وذلك بجمعنا حول «البحر المحيط» كل الذين كان لهم دور مهم في الماضي: سواء الكاريبي، والولايات المتحدة الأمريكية، هايتي، والأفريقيين، والكوبيين، والمعتوقين، والبرازيليين. باختصار، كل الذين قاموا بتجارة العبيد، ونظام الرق والعبودية والاستعمار، وحتى طبول التكيف لاقوا التمثل ومزاميرهما.

المتخصصون في تاريخ جزر الكاريبي لا يجهلون الصعاب التي تعترض أبحاثهم: المحفوظات، الوثائق، والمفاهيم، والمشاكلات، والمنهج والمنشورات. خلال أربعين سنة من البحث، غالباً ما سنحت لي الفرصة

لملاحظة بعض الإمدادات التي يصل إليها مدى الجزر الكاريبية. وبالتالي لأكشف دروبا تنطلق من كاريبي إلى أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة، وكندا)، وتشعبات نحو أمريكا الجنوبية (البرازيل، البيرو، الأرجنتين).

الكاريبي، والبرازيل، والولايات المتحدة، وأفريقيا تقيم منذ خمسة قرون علاقات متواصلة تتأثر في عمقها بالتاريخ. ومنذ أن كنتُ طالباً أدرس التاريخ، أخذتُ بشخصية المناضلين السود أمثال ماركوس غارفي، أو جورج بادامور، الأفريقية أم الشيوعية (١٩٥٦) ننصح بقراءته بالانكليزية لأنَّ ترجمته للفرنسية ضعيفة. شكّل بالنسبة إلى الكثيرين منا مرجعاً في موضوع الأفريقية. كذلك اكتشفت وجود الغوغائي توماس غريفث، «رئيس ماكونن» ونظرته إلى "داخل" الأفريقية. غريفث ومواطنوه الغوبانيون بيتر ميليار، ورنيه ماران، وفيليكس إيبويه، وإيلين جادفار، وجورج فورغ كانوا لي دليلاً على طرق فتحتها - بالنسبة لي - الغوادلوبون جان - لوي باجيو، وجوزيف فيتاليان وجول ألكاندر. فقررتُ عندئذ أن أضع المعالم على بعض الطرق التي ترقى إلى أصول «الأفريقية»، أن أكتشف اللحظة التي تشكل فيها المفهوم الأفريقي وأن أحيط بالمساهمين في هذا الانجاز. بعدما درستُ هذا الكتاب لأزيل الضباب عن بدايات الحركة الأفريقية.

وليس في نيتي أن أشعب أبحاثي لتطال تعرجات تاريخ معقد، في الولايات المتحدة أو في أفريقيا، ولا أطمع إلى تحليل تطور جمعية الاستيطان الأمريكية، أو التعمق في أعمال الانثروبولوجيا الطبيعية التي خدمت التميز العنصري في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. هناك متخصصون آخرون تناولوا هذه المواضيع وهذه الفترات، ويمكن للقارئ

المهتم أن يعود إلى دراساتهم. من جانبي فضلتُ أن أركز على خط إضافي نضطر إلى سلوكه للوصول إلى حركة الأفريقانية الكبيرة التي تجتاز القرن العشرين. الأفريقانية ما قبل غارفي كانت موجودة، وهي التي ستشكل موضوع هذا الكتاب.

السياق الأفريقاني - المصطلح ظهر في الكاريبي عند نهاية القرن التاسع عشر - لم يضم، على ما كان يُعتقد، سوى المجموعات الثلاث جزر الكاريبي، الولايات المتحدة، أفريقيا). غير أنني رأيت من الضروري أن أضيف البرازيل بعد أبحاث في المصادر. فهناك دراسة تُظهر أهمية هذا البلد الفعلية بعد أبحاث في المصادر. فهناك دراسة تظهر أهمية هذا البلد الفعلية، في ملف كل من يعرفه يطرح مشكلة التفسير وسلسلة من المسائل وثيقة الصلة بالموضوع. أوائل رسل الأفريقانية البرازيليين تخطبوا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في إطار تاريخي وعر ومعقد وفي بيئة اعتقالية. سود المستعمرات أو المولدون في أفريقيا السمراء، المتحررون من العبودية، عانوا من النتائج المجردة من أبسط القيم الإنسانية لتجارة العبيد ونظام الرق، وطلب اليد العاملة الآتية من جزر الكاريبي الإنكليزية (ترينيداد، ديميرارا) وتوسع الاستعمار الأوروبي في أفريقيا. فكيف نميز في هذه الظروف ووسط كل هؤلاء السود الأفريقيين المعتوقين، البرازيليين الذين أُتيحت لهم حرية العودة إلى قراهم وأولئك الذين أنزلتهم السفن في البرازيل أو السواحل الأفريقية؟ كما تُطرح أسئلة أخرى : ماذا حلَّ بأولئك الزنوج المحررين الذين استقروا في سيراليون، أو في ليبيريا، أو في خليج البنان أو حتى في أنغولا والموزمبيق؟ كيف يعيشون؟ ماذا يفعلون؟ ما هي نشاطاتهم ومساهماتهم في أفريقيا الأم في تطورها السياسي والاقتصادي

والاجتماعي والثقافي؟

عودة البرازيليين إلى أفريقيا، كما الـ «باك تو أفريقيا» لدى سود الكاريبي والولايات المتحدة، تدفعنا إلى تحليل كل أبعاد الأفريقانية - النسخة الأولى - عند ظهورها على الساحة الدولية.

هناك تتابع بعدة أصوات ينظم في هذا التاريخ للقرن التاسع عشر فلنبداً بتحديد المسألة ومكوناتها.

وقد عرض المؤلف في ثانيا موضوع الدراسة في الفصل الأول الكثير من الآراء والأفكار من غير المساس بالحقائق وذكرها كما هي، وهو يعتقد ويشير إلى أَنَّ الحركة الأفريقانية كانت صادرة عن عدّة محاولات فردية لامعة مبعثرة هنا وهناك في العالم الاستعماري عند منعطفين القرنين التاسع عشر والعشرين. ويقول الباحث: بعد أربعة عقود من الأبحاث وتقصي الحقائق جعله يدرك مدى تعقيد التاريخ. باستعادة ملف الأفريقانية ليحيط بجذوره إحاطة أفضل، فهمتُ عندها أَنه يبرر في عقب إلغاء تجارة العبيد، على هامش نظام الاسترقاق. من جهة أخرى عقد المؤتمر الأفريقاني في لندن سنة ١٩٠٠ هو حدث أساسي خلاصة منطقية لمسار القرن التاسع عشر. ووضع ممثلون من الكاريبي وأفريقيا أهدافاً جديدة تحت رعاية رئيس هايتي سيمون سام، وإمبراطور الحبشه مينيليك، ورئيس ليبيريا جوزف كولمان.

فيما شمل الفصل الثاني إلغاء تجارة العبيد في أفريقيا بشكل خاص بعد إصرار الإدارة البريطانية في الظاهر والرهان الخفي - إلى إصرار

الحكومة البريطانية وعنادها لغرض توقيف ينهي عمليات تهريب الزوج. فيما أدان الرئيس الأمريكي توماس جفرسون «انتهاكات حقوق الإنسان... في أفريقيا» والعمل على إلغاء تجارة العبيد. مع ذلك استمر تجارة العبيد من خلال التجار والمرتزقه والقراصنه وغيرهم

كما عرّج المؤلف في الفصل الثالث على أسس حركة العودة إلى أفريقيا وتأسيس الجمعية الأمريكية للاستيطان عندما وضع الأب روبرت فينلي والقس صموئيل جون مليز مسار واضح لنقل الزنوج الأحرار إلى أفريقيا. فضلاً عن ذلك، أصبحت ليبيريا وعاصمتها مونروفيا مستوطنة للجمعية الأمريكية للاستيطان عبر جزيرة «شيربرو».

أمّا الفصل الرابع فقد عرّج الكاتب على فكرة نشأة النزعة القومية للزنوج في الولايات المتحدة. مما سبب رؤية قومية سوداء وللهروب من السيطرة البيضاء واللجوء إلى الخارج لما هم عليه من معاناة ومخاض صعب في كل جوانب الحياة الأساسية. أمّا الفصل الخامس فقد عرّج الباحث إلى المعتوقين الكوبيون والبرازيليين غير المرغوب في الجزيرة الكبيرة، مولوا رحلتهم بأنفسهم ووصلوا إلى فرناندو بو بعدما استلموا إذنًا ملكيا سنة ١٨٤٥. في إطار الحرية، كذلك نظرة المكافحة الأفريقيين أي الأفارقة - البرازيليين، إذ قلما يتناول الباحثون البعد البرازيلي للأفريقية قبل القرن التاسع عشر. مما سبب هذا الاستبعاد أو هذا التجاهل؟ عندما نقرأ مؤلفات ومجلات «الأفريقيين» ندرك أن هم يسعون جاهدين بحثاً عن أصل هذه الحركة من خلال كفاح الزنوج: تمرد العبيد، حروب العصابات في المدن. يبقى تاريخ لم يكتب بعد، هو تاريخ الأفارقة الذين يعود أصلهم

إلى الرأس الأخضر، والسنغال، وسيراليون، وغامبيا، والداهومي، والاغوس، وأنغولا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. أمّا الفصل السادس فقد استعرض الكاتب (تأكيدات العنصرية المسماة علميّة)، إذ قدم علماء الاجتماع توقّعات دقيقة للعنصرية المسماة «علمية». لقد ظهرت العنصرية برأيهم في زمن حديث نسبياً. قبل القرن التاسع عشر، "إذ كانت تشوب العلاقات بين الناس، طبعاً، كل أنواع اللامساواة... ولا ينكر أحد مسؤولية الأعراق المختلفة في هذا الموضوع... غير أنّه فقط في القرن التاسع عشر، وخلال ذلك القرن تجلت الظواهر العنصرية بشكل أكثر وضوحاً وتكاثرت تبعاً.

وجاء في الفصل السابع الحديث عن بليدن بين الكاريبي وأفريقيا في هذه الجزئية «أعطي اسم الزناج ليس للقبطان السفينة الذي يسرق، ويشترى، ويكبل، ويحشر، ويبيع رجالاً سوداً أو خلاسيين أو حتى الذين يرميهم إلى البحر لإخفاء دليل الجريمة، هكذا فإنّ تسمية الزناج تشمل ملاكي السفن وشركائهم. من جهة أخرى، فإنّ شخصية إدوارد ويلموت بليدن زنجي من الكارييب المولود في لندن وأفكاره فيها الكثير من الغرابة والتناقض تجاه الأفارقة والخلاسيين، وكان يشعر بحقد عميق تجاه الذين أسماهم «الخلاسيين» مع عدم وضوحه تجاه البشرة البيضاء من الأوروبي.

أمّا ما جاء في ثانياً الفصل الثامن وهو بعنوان «مهمة أنتينور فيرمان السياسية» حيث يقول: لست مستعداً لاستبدال الفرح الذي وجدته منذ وصولي إلى أفريقيا بكل ما شاهدته في أميركا. لقد زرعت كل أنواع الأشجار المثمرة التي تعيش في أفريقيا. ويقول أيضاً: "أظن أنّ مونروفيا

ستصبح مكانا يطيب فيه العيش، خلال بضع سنوات الناس يبنون كل سوم. مررنا بالحرب منذ وصولنا، مع السكان الأصليين في اليوم الأول، ذهبنا إلى بلدة سان بول ؛ وفي اليوم التالي اتجهنا إلى بلدة كينغ بروملي واستولينا عليها. لم نخسر سوى رجل واحد“.

وتناول الكاتب في الفصل التاسع دور أحد الضباط من بحرية هايتي في بلاط النيجوس، كذلك الحديث عن واقع إثيوبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مهماً في أكثر من ناحية. كانت الحبشة آنذاك أقدم بلد مستقل في أفريقيا. لقد قاومت بكل شجاعة الامبريالية الأوروبية، لا سيما في عهد الإمبراطور ” منليك الثاني ١٨٨٩-١٩١٣ » من جهة ثانية كانت الحبشة تُشكل مثلاً في أعين الكاريبيين. وكثيرون من الذين يعود أصولهم إلى الكاريبي أبرزهم الدكتور جوزيف فيتاليان وغيرهم الكثيرون.

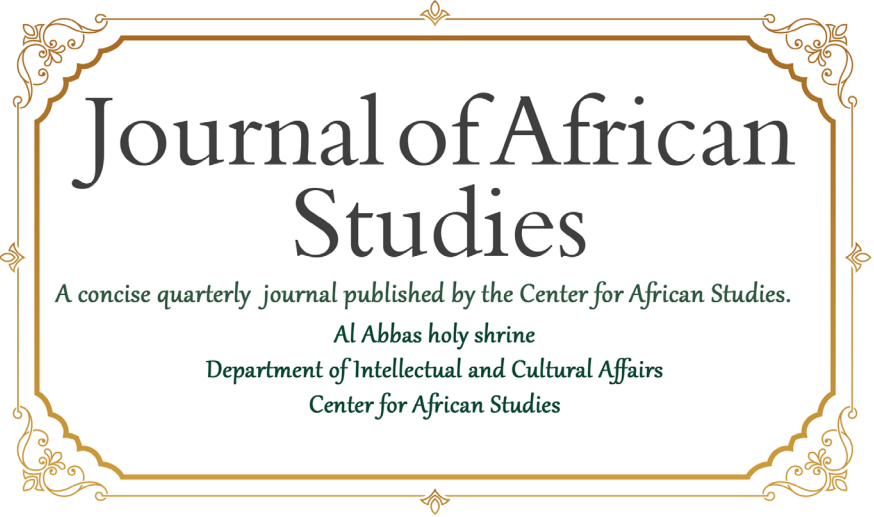
أما الفصل العاشر فقد استعرض الكاتب وبشكل تفصيلي (مؤتمر لندن سنة ١٩٠٠ مع ظهور الأفريقانية وصداها وتداعياتها الداخلية والخارجية للشعوب ذات العلاقة وبدا مرحلة جديدة بتوجهات استعمارية نحول العالم عموماً وأفريقيا على وجه الخصوص لاحقاً. فضلاً عن ذلك جاء بالفصل الحادي عشر بعنوان: المشروع الأفريقاني تنمة وعواقب إذ تم تأسيس الجمعية الأفريقانية عام ١٩٠٠ لأول مرة ومقرها في لندن، وفروع لها في أنحاء العالم. وكان قد اتفق على اجتماع أعضاء الجمعية كل سنتين، في إحدى المدن الكبيرة في أوروبا، أو الولايات المتحدة أو في أحد البلدان المستقلة. هكذا تقرر الاجتماع سنة ١٩٠٢ في الولايات المتحدة، وبعده بسنتين في عام ١٩٠٤ في هايتي للاحتفال بمئوية استقلالها. وأخيراً تناول

الفصل الثاني عشر من الكتاب: كومبيتي: "نهضة السود الاجتماعية" ويقول الكاتب بهذا الشأن ما نصه: «لا شيء في كتاب القدر أكثر حتمية من أن هذا الشعب مقدر له أن يكون حراً : ولا أقل يقينا من أن عرقين، متساويان في الحرية، لا يستطيعان أن يعيشا تحت حكم واحد. الطبيعة، والعادة، واختلاف الرأي، رُسِمَتْ حدودٌ بينهما تصعب إزالتها. لكن لا يزال في مقدورنا توجيه عملية الإعتاق والترحيل، بهدوء، على إيقاع بطيء؛ بهذه الطريقة يتلاشى الشر رويداً رويداً.

وفي نهاية المؤلف وضع الكاتب خلاصة لمرحلة الدراسة ١٩٠٠-٢٠٠٠ بعنوان التاريخ، إضاءة الحاضر مع أبيات من الشعر بعنوان «اسخر منك.... للشاعر نيكولاس غيين.

كما ختم الكاتب بخاتمة بعنوان الأفريقانية: موت وتجل. يتحدث عن التحليل التاريخي للأفريقانية في المدى الطويل، منذ ولادتها في القرن التاسع عشر، يتمحور حول ست مراحل. وسيسمح لنا فحص سريع لكل من هذه المراحل بفهم للتوجهات الجديدة التي تبرز في بداية القرن الحادي والعشرين، في أفريقيا كما في الكاريبي. أصبح من الملح أن نحدد وجهات البحث، وأن نطرح تساؤلات جديدة، وأن ننتقد الطرق القديمة، وأن نذهب أعمق في كفاحاتنا.

وجميع مصادر ومراجع الكتاب مباشرة من ضمن الجوانب للأحداث الأساسية، وكانت منسجمة مع منهجية البحث العلمي الأكاديمي للدراسة.



Journal of African Studies

A concise quarterly journal published by the Center for African Studies.

*Al Abbas holy shrine
Department of Intellectual and Cultural Affairs
Center for African Studies*